

محورية الشخصية الروائية ودلالاتها في بناء الرواية الجزائرية المعاصرة - صخرة الرماد لزينب لوت انموذجا -

The Centrality of the Fictional Character and Its Significance in the Construction of the Contemporary Algerian Novel : Sakhret al-Ramad by Zineb Lout as a Case Study.

بوبيدي غنية *

جامعة باجي مختار عنابة

ghaniyya.boubidi@univ-annaba.dz

تاريخ القبول: 2026-06-09

تاريخ الإرسال: 2026-04-08

ملخص:

يحاول هذا المقال مقارنة موضوع الشخصية في الرواية الجزائرية المعاصرة من خلال تتبع مظاهرها وتجلياتها ودلالاتها في رواية صخرة الرماد لزينب لوت؛ إذ تكشف هذه الرواية عن محورية الشخصية ودلالاتها في بناء الرواية المعاصرة، كما يبرز المقال كيف اهتم الكتاب والروائيون الجزائريون بإعادة تشكيل الشخصية الروائية من خلال الحاضر الاجتماعي والثقافي، حيث لم تعد شخصية نمطية أو بطولية كما في بعض الروايات الكلاسيكية، بل أصبحت شخصية قلقة وممزقة بين الماضي والحاضر وبين التقاليد والحداثة. وقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في محاولة للإجابة عن الاشكال الآتي: كيف تجلت محورية الشخصية في الرواية الجزائرية المعاصرة؟.

الكلمات المفتاحية: محورية، شخصية روائية، رواية جزائرية، صخرة الرماد، زينب لوت.

Abstract:

This article seeks to examine the issue of character in the contemporary Algerian novel by tracing its manifestations, representations, and underlying meanings in the novel Sakhret al-Ramad (Rock of Ashes) by Zineb Lout. The study reveals the central role and significance of the character in the construction of the contemporary novel. It also highlights how Algerian writers and novelists have shown a growing interest in reconfiguring the fictional character through the lens of present-day social and cultural realities.

In this context, the character is no longer portrayed as a stereotypical or heroic figure—as was often the case in certain classical novels—but rather as a troubled

* - المؤلف المراسل.

and fragmented subject, caught between past and present, and between tradition and modernity.

The study adopts a descriptive-analytical approach in an attempt to address the following question: How is the centrality of character manifested in the contemporary Algerian novel?

Keywords: centrality; fictional character; Algerian novel; Sakhret al-Ramad; Zineb Lout

مقدمة:

تعد الشخصية من أبرز المكونات الرئيسة التي يقوم عليها العمل السردى والعامل الذي من خلاله يؤهل الرواية إلى النجاح والتميز والخلود. فالشخصية الروائية هي بمثابة الروح في الجسد أو الركيزة التي تدور حولها باقي عناصر الرواية الأخرى، فلا رواية من دون شخصيات، فضلا عن كونها وسيلة الكاتب الأساسية في التعبير عن الجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية المختلفة، التي يحرص على إبرازها من خلال النص الروائي، فكل شخصية روائية لها ايدولوجية معينة وفكرة يراد ايصالها إلى القارئ أو المتلقي.

ومن هنا وقع اختياري لموضوع محورية الشخصية الروائية ودلالاتها في بناء الرواية الجزائرية المعاصرة -صخرة الرماد لزينب لوت أنموذجا- وذلك لتنوع وتباين الشخصيات في الرواية المراد تحليلها بين شخصيات رئيسة وثانوية عكست من خلالها الكاتبة توجهاتها. وبنيت الشخصية المحورية بتفصيل عميق ولم تقدم بتلك الصورة النمطية المتعارف عليها.

وهذا ما حاولنا التطرق إليه في تحليلنا لشخصيات الرواية انطلاقا من آليات المنهج

الوصفي التحليلي ومن هنا تأتي إشكالية الدراسة كالآتي:

- ما مفهوم الشخصية؟ وما أهميتها في بناء الرواية الجزائرية المعاصرة؟
- وكيف عكست الروائية زينب لوت جوانب مختلفة من الواقع المعيش من خلال شخصيات روايتها صخرة الرماد -سيزيف في رحلة الصعود نحو القاع؟.

1. مفهوم الشخصية وأهميتها في بناء الرواية الجزائرية المعاصرة

تعد الشخصية عنصرا فعالا من عناصر الفن الروائي، فلا يمكن تصور رواية دونها، مما يؤهلها لأن تحتل المكانة الأولى التي توجه الحدث وتحرك بنيته، فهي محور الأعمال مثلما يرى "هنري جيمس" الذي يقول: «ما الشخصية إن لم تكن محور الأعمال؟ وما العمل إن لم يكن تصوير الشخصية؟ وما اللوحة أو الرواية إن لم تكن وصف طباع الشخص»¹. وعليه نتساءل: ما مفهوم الشخصية؟ وما أهميتها في بناء الرواية الجزائية المعاصرة؟

1.1- مفهوم الشخصية:

-الشخصية لغة:

لقد أسهمت التعريفات اللغوية في تحديد مفهوم الشخصية إنطلاقا من الجذر الثلاثي لمادة (شخص) فقد وردت في معجم لسان العرب لابن منظور بحيث يقول «مادة (ش، خ، ص) لفظة الشخصية التي تعني سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد ... وكل شي رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه ... والشخص كل جسم له ارتفاع و ظهور ... وشخص بالفتح، شخصا: ارتفع والشخص ضد الهبوط، كما يعني السير من بلد إلى بلد ... وتشخص الرجل ببصره عند الموت ، يشخص شخصا: رفعه فلم يطرف»².

يفهم من هذا التعريف اللغوي لابن منظور أن مصطلح الشخص يحيلنا إلى هيئة الشخص الخارجية، إلى جانب السلوك أو الفعل، كما نجد فيه دلالة على الحضور والوضوح ، حيث أطلق المصطلح على الشخص الظاهر للعيان.

ونجد في المعجم الوسيط : الشخصية : الصفات التي يتميز بها الشخص عن غيره فيقال فلان لا شخصية له، أي ليس له ما يميزه من صفات خاصة³ من خلال التعاريف السابقة يتبين أن مفهوم الشخصية متشعب المعاني ولا يمكن حصرها في مادة واحدة لتعدد الاستعمال .

اصطلاحا:

¹الصادق قسومة: طرائق تحليل القصة ، دار الجنوب للنشر، تونس ، 2000م، ص 96.

²ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم : لسان العرب ، مج1، تح : عبد الله على المحبیر، محمد احمد حسن الله، هاشم محمد الشاذلي، دار والمعارف، القاهرة، مصر، : ج25 ، مادة (ش،خ،ص) ، ص ، 2211-2212.

³ابراهيم أنيس ورفاقه، المعجم الوسيط، مطبعة مصر ، لقاهرة ، 1992. ص 154.

يختلف التعريف الاصطلاحي باختلاف الدارسين والباحثين الذين عالجوا هذا الموضوع بالدراسة والتحليل، فلكل ناقد وجهة نظر يتعامل فيها مع موضوع الشخصية، على اعتبار أهميتها فهي رؤية تعكس ذات الروائي ويطلع عليها كل المضامين المحيطة والمنشأة لمضمون العمل الروائي، وهنا لا تبقى الشخصية تابعة للحدث أو منفصلة به وإنما تصبح جزءا مكونا وضروريا لتلاحم السرد. والمعروف أن "لوكاش" « يؤكد دائما على ضرورة الحفاظ على وجود البطل داخل النص وإحلاله المكان الملائم له وفاء منه للمنظومة الأرسطية »⁴.

وقد اعتمد الروائيون في تقديمهم للشخصية الروائية برسم ملامحها وقامتها وآمالها و آمالها، وجعلها صورة من صور العالم الواقعي، « فحينما يتخيل الكاتب الشخصيات الروائية يبدأ بفتح ملف لكل شخصية يصفها فيه وصفا دقيقا وكأنها شخصية حقيقية ويضع لها سيرة تاريخية ونسب، ولا يفوته شيء من الوصفين الخارجي والداخلي »⁵.

وهذا التطور الذي شهدته الشخصية لم يأت من فراغ وإنما صيغ وفق مفاهيم وآليات إجرائية وضعت خصيصا لتحديد دورها داخل العمل الروائي فنمت وتطورت إلى أن اكتملت بنيويا واستقلت عن الحدث في القرن التاسع عشر، وهذا ما أكده الباحث والناقد "إيدوين" حيث يقول « الرواية مبنية أساسا لإمدادنا بمزيد من المعرفة عن الشخصيات أو لتقديم شخصيات جديدة »⁶.

بالإضافة إلى الناقد إدوين يحاول الناقد "جورج لوكانش" أن يضبط مفهوم الشخصية في شموليتها ضمن الواقع الاجتماعي داخل العمل الروائي فيقول أنه « لا غنى لكل عمل أدبي عن عرض أشخاصه في تضافر شامل لعلاقات بعضهم مع بعض ومع وجودهم الاجتماعي ومع معضلات هذا الوجود، وكلما كان إدراك هذه العلاقات أعمق وكان الجهد في إخراج خيوط هذه الوشائج أخصب، كان العمل الأدبي أكبر قيمة، وبالتالي أقرب منها من غنى

⁴ حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص 209.

⁵ عبد الله خمار: تقنيات الدراسة الروائية للشخصية، الكتاب العربي، الجزائر، 1999م، ص 23.

⁶ جريدة حماس: بناء الشخصية في حكاية عبدوا الجماجم والجبل لمصطفى فاسي، مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، 2007، ص 57.

الحياة الفعلي»⁷. لاتساق أركانه وانسجام دلالاته. ومن خلال هذا القول ندرك دور الشخصية ضمن سيرورة العمل الروائي فالشخصيات تتضافر وحداتها المعرفية انطلاقا من الواقع الذي يفرض على الروائي نفسه لتعبر عن أفكار سائدة في مجتمعه.

2.1- مفهوم الشخصية الروائية عند الدارسين:

تباينت الأبحاث الخاصة حول الشخصية ودورها داخل العمل الروائي بوصفها المثل الأعلى للنص وهي السلطة المطلقة المحركة والمساعدة في نمو وتصاعد الأحداث، ومنه تعددت مفاهيمها تبعا للمقاربات والنظريات التي عالجت مفهوم الشخصية سواء النظريات الأنثروبولوجية أو الثقافية أو السوسولوجية أو السيكلوجية ، ففي النظرية السيكلوجية مثلا «تتخذ الشخصية جوهر سيكلوجيا، وتصير فردا، شخصا، أي ببساطة "كائنا انسانيا"، وفي المنظور الاجتماعي تتحول الشخصية إلى نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي ، ويعكس وعيا إيديولوجيا . بخلاف ذلك لا يعامل التحليل البنيوي الشخصية بوصفها جوهر سيكلوجيا ولا نمطا اجتماعيا، وإنما باعتبارها علامة يتشكل مدلولها من وحدة الأفعال التي تنجزها في سياق السرد وليس خارجه»⁸.

أ - الشخصية عند الدارسين الغرب:

لقد أولى نقاد الغرب أهمية بالغة للشخصية سواء من حيث المفهوم أو من حيث الأداء فقد حدد الناقد الفرنسي " رولان بارت" تعريفا موجزا للشخصية لخصها بصورة عميقة حيث يقول بأنها « نتاج عمل تأليفي، كان يقصد أن هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم "علم" يتكرر ظهوره في الحكى»⁹. هنا أعطى " رولان بارت" للشخصية قيمة معرفية تحدد دورها داخل المتن فهي موزعة على أنماط مختلفة وهذا بحسب الدور الذي أعطاها إياه الروائي.

⁷ جريدة حماس: بناء الشخصية في حكاية عبدوا الجماجم والجبل لمصطفى فاسي، مقاربة في السرديات ص 75.

⁸ محمد بوعزة: تحليل النص السردى وتقنيات ومفاهيم ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص 39.

⁹ حميد الحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص 50.

أما الناقد الروسي "فلاديمير بروب" فقد ركز على أهمية الشخصية من خلال البحث الذي قدمه حولها حينما قدم دراسة تحليلية لمورفولوجيا الحكاية الخرافية وخلص إلى أنها تجمع وتشتمل على الأدوار السبعة « التي توكل للشخصيات المحسوسة في القصة، وصفاتها فإنها بدورها تبقى واحدة وكل هذه الشخصيات السبع ، أعني الأدوار وبشكل أدق ، الخصم ، المعتدي ، المازح ، المساعد ، والأميرة ، وأباها ، الطالب ، البطل ، البطل المزيّف »¹⁰. هذه الأدوار السبعة التي حددها "بروب" يؤكد فيها أن جميع الأعمال تنطلق من محورية هذه الشخصيات، وذلك بتحديد الوظيفة الموكلة لكل شخصية ودورها في إنتاج النص وسيرورة الأحداث.

ب - الشخصية عند الدارسين العرب:

لقد أولى النقاد العرب أهمية بالغة لدور الشخصية داخل العمل الروائي ومن النقاد العرب الذين اشتغلوا عليها نجد الناقد " عبد المالك مرتاض " الذي عرفها في كتابه " في نظرية الرواية " بأنها : « هي التي تكون واسطة لعقد بين جميع المشكلات الأخرى، حيث أنها هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تثبت أو تستقبل الحوار، وهي التي تستطيع المناجاة وهي التي تصف معظم المناظر التي تستهويها ، وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها ... وهي التي تعمر المكان وتتفاعل مع الزمن في أهم أطرافه الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل »¹¹.

إذن يؤكد مرتاض أن الشخصية مهمتها مهمة وظيفية في تصاعد الأحداث وتطورها لأنها أحد أعمدة البناء الروائي ويستحيل مطلقا تجاوز الوظيفة الموكلة إليها ولا يمكن الاستغناء عنها. في حين يرى "حسن بحراوي" الشخصية : « هي محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية محددة يسعى إليها، وتؤدي القراءة الساذجة من جانبها إلى سوء التأويل، ذلك حين تخلط بين الشخصيات التخيلية والأشخاص الأحياء أو تطابق بينها »¹².

¹⁰ فلاديمير بروب: مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن وسمير بن حمو، دار الشرع، دمشق، ط1، 1996م، ص 210.

¹¹ عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998م، ص

¹² حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 213.

ومن هنا نجمل القول عن دور الشخصية في المتن الروائي وذلك باختلاف دور كل شخصية سواء أكانت رئيسة أم ثانوية فهي لا تنطلق من فراغ بل تحدد مسار الرواية من البداية إلى النهاية.

3. أهمية الشخصية الروائية في بناء الرواية الجزائرية المعاصرة:

إن العناية بأهمية الشخصية عناية كان لها حظور في الأبحاث والدراسات منذ القدم، فهي وسيلة الكاتب لتجسيد رؤيته والتعبير عن إحساسه بواقعه المعاش. فالشخصية الروائية هي بمثابة الحامل لفكر الأديب ومن مقومات الرواية في حد ذاتها، إذ أن السارد «يقوم بإسقاط مجموعة من الخصائص الأخلاقية والسياسية والاجتماعية التي تعود إلى طبقة اجتماعية ما على الشخصية الروائية محور تجربته الإبداعية»¹³.

وبهذا فالشخصية هي المحرك الرئيس لأحداث الرواية، وتبرز كذلك أهمية الشخصية عند "حسن بحراوي" «إذ لا رواية بدون شخصية تقود الأحداث وتنظم الأفعال وتعطي القصة بعدها الحكائي ... ثم إن الشخصية الروائية فوق ذلك تعد العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي واطراده»¹⁴.

هذا عن أهمية الشخصية في الأعمال الأدبية الروائية عموماً، أما عن أهميتها في الرواية الجزائرية المعاصرة فإننا نجد معظم الروائيين الجزائريين المعاصرين مثل "واسيني الأعرج" والروائي عز الدين جلاوي "يهتمون بعنصر الشخصية في أعمالهم الأدبية الروائية اهتماماً بالغاً، وقد أسهمت الشخصيات ذات المرجعيات المختلفة المستمدة من الواقع الجزائري المعيش، مساهمة فعالة في بلورة الوعي الثقافي لدى المتلقي.

ويحدد الروائي واسيني الأعرج في رواية كتاب الأمير شخصياته بدقة متناهية من خلال «اختيار شخصياته التي قامت بدور كاف و مناسب في نقلها لحقيقة تاريخية إلى القارئ، إلا أنه يجعل الشخصية الرئيسية في الرواية هي شخصية الأمير عبد القادر كونها تمثل الدور الكبير في المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار و شخصية مونسينيور كونها تمثل الدور الانساني في توضيح حقائق تاريخية كانت منسية، وقد قصد الكاتب ذلك حتى يتيح للقارئ ولنفسه

¹³ سعيد بنكراد : سيميولوجيا الشخصية، رواية الشارع والعاطفة، ط1، عمان، الأردن، 2003م، ، ص113.

¹⁴ حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 20.

فرصة التعرف على هذه الحقائق التاريخية المنسية باختياره لشخصيات روايته بصورة تسمح له باستعراض معلوماته بطريقة سليمة»¹⁵.

و في روايته "حارسة الظلال" التي تطرق فيها الروائي إلى موضوع بالغ الأهمية في تلك الفترة الصعبة التي مرت بها الجزائر وهو موضوع "السلطة والإرهاب" في زمن العشرية السوداء، نجده يقدم شخصيات بأسلوب واقعي حقا، و بمزيج مركب من ثلاثة أبعاد أساسية وهي: البعد الجسدي والنفسي والاجتماعي، مركزا على البعدين (النفسي والاجتماعي)، لأنه حرص على تقديم شخصياته من الداخل أكثر من حرصه على تقديمها من الخارج. أما عن شخصيات الروائي

الجزائري المتميز " عزالدين جلاوي " « فهي تجربة جديدة في الكتابة أثبتت رؤيته الأيديولوجية التي أسكنها عالمها التخيلي لواقعه الذي عاشه ولا يزال يعيشه، والذي يجيب عن كثير من تساؤلاته ذلك أن بناء الشخصية ليس عملية اعتباطية خاضعة لمزاج المبدع ومزاج المتلقي، وإنما هو عملية واعية لمجموعة من القيود والإغرامات ، ولا يمكنها أن تتشكل ككيان حتى بعيدا عنها»¹⁶.

1.3. الشخصيات الروائية في رواية صخرة الرماد لزينب لوت:

إن رواية صخرة الرماد "لزينب لوت" ، من أهم الروايات التي ركزت على دور الشخصية بشكل كبير جدا وقد صورت الروائية المعاناة، والتي تعد التيمة البارزة لهذه الرواية، فأعطت لكل شخصية صبغة نمطية تحدد معاناة كل واحدة منها وعلاقتها بالشخصيات الأخرى، و بما تصوره من معاناة خاصة بها . وسنوضح أبرز الشخصيات الرئيسة والثانوية التي شكلت هذا العمل الروائي الجزائري المعاصر:

2.3. الشخصيات الرئيسة في الرواية:

إن الشخصيات الرئيسة هي المحرك الأساسي للعمل الروائي وهي بمثابة المرجع المسيطر والمهيمن على أحداث الرواية ككل ، وذلك انطلاقا من الدور الذي شغلته داخل المتن

¹⁵ عبد الله توام : سيميولوجيا الشخصيات في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج، مجلة التعليمية ، مج5، ع

13 مارس 2018 ، ص 209.

¹⁶ مديحة سابق: سيمياء الشخصية في روايات "عز الدين جلاوي" مج24، ع 51، 2020م، ص 856.

الروائي، فهي التي تقوم بالدور البارز وتعد مركز العمل الروائي. وأبرز هذه الشخصيات في رواية صخرة الرماد "لزينب لوت" نجد شخصيتي سيف (سيزيف) و صديقه (رشا):

سيف : هو الشخصية المحورية في الرواية، وتتقاطع مع الشخصية الأسطورية (سيزيف) بحيث أنه يحمل رمزيتهما الأسطورية ومعاناتها في درجة الصخرة .

سيف الملعوف هو الشخصية الرئيسة في الرواية، وقد ركزت عليه الكاتبة بشكل لافت، لأن أحداث الرواية مرتبطة به، فهو يمتن مهنة الصحافة كعمل دائم يقوم به في حياته اليومية، ومنها قامت الروائية بنسج الأحداث بين مقر العمل وما يحيط به . تتشكل هذه الشخصية منذ الوهلة الأولى بدءاً بالطفولة القاسية التي عاشها : حيث فقد والدته ماجدة في حادثة انتحار مأساوى، بعد أن تعرضت للقهر والخذلان من زوجها الطاهر ، والد سيف. هذا الحدث ترك أثراً عميقاً في نفسه، وأصبح نقطة تحول في حياته النفسية والعاطفية فيصور سيف معاناته الطفولية بقوله « وتعود أُمِّي ... تعجن الخبز بين كفيها، وتحفظ حرارة الحليب بغطاء لكننا لم نحس بالبرودة والصقيع مثل اليوم »¹⁷.

هذا المشهد الذي صور معاناة سيف لم يفارقه ولم يستطع نسيانه طوال عمره فهو يعيش مع ماضيه الذي يذكره دائما بالوشاح الأحمر « رِبطة عنق. عنق حمراء ... حمراء ... حمراء يا خليل مثل التي علقتها أُمِّي عندما انتحرت أُمِّي ... »¹⁸. إن الصورة السميائية للون الأحمر أصبحت كابوسه الذي يلاحقه دوما في يقظته وفي منامه لما له من وقع أليم على ذاته. إن سمة الفقد انعكست على شخصية سيف بشكل كبير وهذا ناتج عن فقدته للعديد من أقاربه وكل أحبائه، يقول سيف وهو يستذكر الحادثة الأليمة التي فقد من خلالها أمه وأخته « زئير الموت ... هل التراب يعشق جسدك يا "ماجدة" هل يخرجك يوما ؟ وكيف يمكنني أن أسابق الزمن لأعيدك؟ ولماذا تزرع رحمة بقربك، وكأنك وطن تحت الأرض يقيم فيه النسيان .. تراب خفي يلقي ملح الذاكرة ... ويسحقني بالملح »¹⁹.

إن الألم الذي عاشه سيف جراء فقدته لشقيقته رحمة التي عاشت حياة بائسة جدا من جميع النواحي، فهي هو زوجها يعاملها كخادمة وليس كزوجة، فقد كانت قسوته قاتلة

¹⁷ زينب لوت: صخرة الرماد، دار غراب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2019م، ص 108.

¹⁸ زينب لوت: صخرة الرماد ،، ص 97.

¹⁹ المصدر نفسه، ص 91.

فمهيئها ويعنفها ويعمد دائما إلى ضربها حتى يتورم جسدها البالي الهزيل والضعيف، كما تحملت مسؤولية المنزل على عاتقها، بالإضافة إلى كل هذه الأعباء كانت تعمل كخادمة لكي تؤمن قوت عيشها بإصرار زوجها، ولم يكفها هذا فقط فقد تحملت مرضا خبيثا وهو مرض السرطان الذي قضى على جسدها النحيل والضعيف، فيتحدث سيف عن خبر وفاتها المفجع فيقول «...ماتت (رحمة) تنفلت الكلمات الغائرة في المعنى ونحيب يختزل الحزن والضباع... دفعت الباب بقوة والنسوة تلطم حالها من أجل فقدان رحمة...»²⁰.

لقد كانت الصحافة بالنسبة "لسيف" أكثر من مجرد مهنة، كانت وسيلة لمقاومة الظلم من جهة، ومحاولة لفهم ذاته وترميم آلامه من جهة أخرى. في علاقاته العاطفية، لم يكن "سيف" قادرا على التعبير عن مشاعره فحبه "لرشا" زميلته وصديقتها. ظل مكتوما، رغم أنها كانت جزءا أساسيا من حياته، ودعّمه المستمر لها كان واضحا في كل مراحل مرضها « (رشا) أنت بخير أنظري للنور كلما اختفت أيادي الأمل بداخلك اسحبي ستائر الفرح حولك ستجدينها في أصعب الظروف، تأكدي من ذلك...»²¹

سيف: شخصية مليئة بالتناقضات الجميلة: هش من الداخل، لكنه قوي في صمته، منكسر لكنه لا يسقط، حنون رغم الجراح. وهو تجسيد للإنسان الذي لم يتخل عن إنسانيته رغم كل ما مر به من آلام وظروف صعبة في الحياة.

-رشا: من أبرز الشخصيات في رواية "صخرة الرماد"، وذات تأثير عميق على بطل الرواية "سيف"، فهي صديقتها كما أنها شقيقة زوجة أخيه عمر، و تعد صحفية مرموقة ولها مكانتها ووزنها في هذا المجال. وقد كانت هي الأخرى تعاني من مرض خبيث ألم بها وظلت تصارعه وتقاومه، وهو صورة لمعاناة أخرى حملتها الروائية للشخصية « ورم في الدماغ لم أشعر بوجوده من قبل كتلة تشكلت بسرعة...»²².

تصف رشا معاناتها مع هذا المرض الذي أضعف وأنهك جسدها قائلة « لم أكن أتوقع أنني سأضعف بهذا الشكل المخيف، كنت أطارد أشباح الحروب، لأموت بشبح سرطان... آه يا

²⁰المصدر نفسه، ص 129.

²¹المصدر نفسه، ص 20.

²²زينب لوت: صخرة الرماد، ص 22.

دكتور كم هو موزع هذا الشعور موزع ومحطم ... سأترك توأمي " فارس " و " ندى " بلا حضني . و بلا أرض صلبة ...»²³ .

إن رشا في صراع مع معاناة المرض وفقد الجمال ومعاناة الاشتياق للأولاد، فهي تسأل عن حالهما كلما التقت بسيف، تتمسك رشا بأمل كبير في الحياة، وقد مرت أيضا بخيانة مزدوجة من أقرب الناس إليها (زوجها وصديقتها) . يحاول سيف إقناعها أن زوجها غوستاف لا يتصل بها خشية على صحتها « رشا أنت تعلمين أنه يخشى عليك من انعكاس أشعة الهاتف، المهم أن عمليتك مرت نجاح وأنت تمارسين العلاج الكيماوي...»²⁴ . لكنه لم يخبرها بالحقيقة وأخفى واقع الأمر عنها محدثا نفسه « ليتك تعلمين أنه تركك بعد ما علم بمرضك لكي تستريح روحك »²⁵، ومع مرور الوقت عرفت رشا بحقيقة الأمر، وأن هذا الغياب لم يكن غيابا عاديا لأنه أثار في نفسها شكوكا كثيرة، ولكنها صدمت بفاجعة أن زوجها لم يفارقها بسبب العمل ، بل لأنه انفصل عنها مباشرة بعد أن علم بمرضها، فحينما أدركت أن زوجها كان يخونها تأثرت تأثرا بليغا جدا وهو ما زاد من حدة مرضها وألمها وأغوى عليها مباشرة حينما علمت بالخبر، لكنها نجت بأعجوبة وقام الأطباء بإعادة نبضها بصدمات القلب الكهربائية. كانت " رشا " شخصية صامدة ومكافحة. قررت في النهاية أن تتجاوز خيبتها من أجل أطفالها، وتعيد ترميم وبناء نفسها من جديد .

تمثل شخصية " رشا " في رواية " صخرة الرماد " نموذج. المرأة الصامدة التي قد تنكسر لكنها لا تسقط، فهي امرأة قوية رغم كل شيء وانسانيتها تتغلب على كل الصعاب والعراقيل بكل تفاصيلها، فمن معاناة المرض إلى معاناة الخيانة والإهمال العاطفي والطلاق.

3.3. الشخصيات الثانوية في الرواية :

إلى جانب الشخصيات الرئيسة هناك شخصيات أخرى ذات دور أو أدوار ثانوية، تساعد في نمو النص وترابنية الأحداث وهي شخصيات مساعدة للشخصية الرئيسة، فالشخصيات الثانوية تمارس عملها وتقوم ببعث الحركة و سيرورة السرد داخل المتن الروائي فهي « مسطحة ، أحادية وثابتة ، ساكنة . واضحة ، ليس لها أي جاذبية ، تقوم بدور تابع

²³المصدر نفسه ، ص 25

²⁴المصدر نفسه ، ص 29.

²⁵المصدر نفسه، ص 29.

عرضي لا يغير مجرى الحكى ، لا أهمية لها فلا يؤثر غيابها في فهم العمل الروائي تقوم بأدوار محددة إذا ما قورنت بأدوار الشخصية الرئيسية ، أو لإحدى الشخصيات الأخرى تظهر بين الحين والآخر ، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معين له ، فتظهر في أحداث ومشاهد «²⁶. وأبرز هذه الشخصيات في رواية صخرة الرماد "لزينب لوت:

- ماجدة : والدة البطل سيف ، امرأة قوية ومتزنة. فلسطينية الأصل ، عانت الأمرين من الظروف الاجتماعية القاسية التي عاشتها في حياتها هي وأولادها ، بالإضافة إلى معاناة الاحتلال الصهيوني ، فقد تجرعت مرارة فقد والدها وعريسها « تنفجر عبوة ناسفة تفصلها بينها وبين الكابوس المزعج تستعيد جسدها روحاً انفلتت للحظة يتوزع جميع المدعويين بين هارب و منقذ تفتش بين الأنقاض والدها قرب زوجها الذي طلقه الحداد منها»²⁷.. لتنتقل هي وأولادها إلى مخيمات اللاجئين التي لم تسلم هي الأخرى من مكائد الاحتلال «لتنقل إلى الحدود اللبنانية قرب مخيمات صبرا وشتيلا التي حملت شتلات الأجساد المهرية من أرضها باحثه عن وطن»²⁸. لكنها لم تلبث طويلا هناك هذه الأخيرة لترحل "ماجدة" إلى بيت ياحون لتكون مثواها الأخير مخلقة ثلاثة أطفال (سيف ، رحمة ، وعمر).

تجسد قصة ماجدة في الرواية نموذجا للمرأة التي تم طمس وجودها بفعل ثقل التقاليد ، القهر الزوجي والحرمان العاطفي ، فصورتها ظلت تلاحق البطل سيف طيلة حياته كما بقي اسمها يتردد في الرواية كصوت من الماضي يمثل الوجد ، الخسارة والحرمان من الأمان.

-رحمة : هي أخت البطل سيف ، عاشت هي الأخرى حياة مزرية وقاسية ولم تسلم من المرض . شخصية رحمة تجمع بين القوة واللين ، فهي رغم الألم والحرمان ، احتفظت بروح ناعمة ، حنونة ، وحس مسؤولية عال جدا ، فقد كانت ذكية ، عاقلة ، قادرة على اتخاذ قرارات مصيرية ، التي تمثلت في أخذ شقيقها سيف وعمر الرضيع وفرت بهما بعد وفاة أمها وزواج والدها وهي لا تزال في سن صغيرة. منذ تلك اللحظة تحولت رحمة من طفلة إلى أم صغيرة

²⁶محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم ، ص 57.

²⁷زينب لوت صخرة الرماد ، ص 146-147.

²⁸زينب لوت: صخرة الرماد ، ص 147.

حنون ومربية ، خاصة لأخيها الرضيع عمر. لقد كان حضورها في الرواية دائما مقرونا بالعتاء والصبر « أنت تمرضين يا خادمة البيوت ... مريضة بورم خبيث ولا أمل لي ... ماتت رحمة تنفلت الكلمات الغائرة ونحيب يختزل الحزن والضياع...»²⁹ .. تجسد شخصية "رحمة" في رواية صخرة الرماد نموذجاً للأنثى التي كبرت ونضجت قبل أوانها، متحملة مسؤوليات تفوق سنها، بعد أن وجدت نفسها مجبرة على تعويض غياب وحنان الأم الرؤوم.

-عمر: شقيق سيف ورحمة، وشخصيته في رواية صخرة الرماد تمثل الجرح الذي ظل ينزف داخل سيف ورحمة لسنوات طويلة. ولد عمر في عائلة تعاني من الظلم والعنف الأسري . وما كاد يفتح عينيه على الحياة حتى فقد أمه ماجدة التي انتحرت بسبب الضغوط النفسية التي عاشتها مع زوجها .. لم يكن لعمر حنان أو رعاية لولا أخته رحمة التي أخذت على عاتقها حمايته رغم صغر سنها . ونتيجة للظروف الصعبة و القاسية التي عاشوها، مرض عمر ولم يكن في مقدور سيف " أو " رحمة " توفير العلاج اللازم له . وهنا تدخلت عائلة غريبة عرضت التكفل به وتبنيه بدافع إنساني.

كان هذا الحدث نقطة تحول في حياة عمر ومساره، حيث كبر وترعرع بعيداً عن إخوته ، دون أن يعرف أي شيء عن ماضيه أو عن عائلته الأصلية، غاب عمر عن سيف ورحمة لسنوات طويلة، لكن سيف لم يتوقف عن البحث عنه، وكان العثور عليه بمثابة استرجاع جزء مفقود من ذاته، لقد جمع اللقاء و صدف الحياة "عمر" بأخيه "سيف" في مشهد إنساني مؤثر، حيث لم يكن اللقاء مجرد لحظة تعارف بل كان لحظة اكتمال وشفاء لجراح قديمة . « أنظر عمر أليست صورتك ... أنا من لحكم ودمك من أمك وأبيك ومن وطنك، ومن ضللتنا منذ زمن »³⁰.

لقد بدا عمر في هذا المشهد وكأنه الشاهد الصامت على مأساة ومعاناة عائلة دفنت تفاصيل حياتها تحت ركام الصمت والفقد والخذلان .. رغم أن الرواية لم تركز على شخصية عمر بشكل كبير كما فعلت مع أخيه "سيف" بطل القصة إلا أن وجوده كان جوهرياً ، لأنه يمثل الأخ الضائع" رمز البراءة . الذي يعود لعائلته بعد زمن طويل ليكون رابطاً جديداً بين الماضي والحاضر، ليعيد لبطل الرواية سيف" ولو جزءاً يسيراً من الإحساس بالأمان والانتماء

²⁹ المصدر نفسه ، ص 129.

³⁰ زينب لوت: صخرة الرماد ، ص 78.

الذي فقدته منذ الطفولة. عمر هو الغائب الحاضر، صوته عميق الأثر يمثل الأمل في نهاية نفق طويل من الضياع والحنين.

شامة : إحدى الشخصيات الثانوية المساعدة في بناء الرواية، هي فتاة في مقتبل العمر فلسطينية من رام الله، التقت بسيف في حفل افتتاح الموسم الجامعي في إيطاليا ، فأحبها حبا فطريا نقيًا، وربما للمرة الأولى شعر سيف بأنه قادر على التخلي عن أوجاعه القديمة ليبدأ من جديد.

لكن الحب الذي بدأ كملاذ ومتنفس وأمل في حياة أجمل وأفضل، انتهى بمأساة . في لحظة فارقة لم تتطلب أكثر من ربطة عنق حمراء. لقد كان سيف سبب في موت حبيبة القلب التي كان سيعرض عليها الزواج وذلك بسبب ذكريات الماضي. العالقة في ذاكرته « في تلك الليلة حضرت العشاء وكنت قد اشتريت خاتم خطوبة لأضعه في أصبعها الرخامي، لكنها خرجت من الحمام ووضعت ربطة عنق حمراء... حمراء... حمراء يا خليل... مثل تلك التي علقتها أُمي عندما انتحرت... جنوني صفعتها... وأخرجتها من باب الصالون.. حملت حقيبتها... وسمعت سيارة تدوس جسدها المشقوق وتعصر دمه وقهرها...مني»³¹. تركت شامة فراغا كبيرا في حياة سيف ، فقد فقدتها كما فقد والدته لكنه هذه المرة هو السبب في ذلك فقد خُتمت قصتهما بدم، بدل أن تختتم بخاتم زواج - مازاد شعوره بالذنب وأغرقه في صراع داخلي لا يطاق.

تمثل "شامة" في صخرة الرماد رمز الحب الذي لم يكتمل، والحياة التي توقفت بسبب ماضٍ لم يغلق بابه . هي ضحية لذلك التقاطع المأساوي بين الحب والذاكرة ، بين القلب والعقل.

بالإضافة إلى هذه الشخصيات الثانوية هناك شخصيات أخرى (شخصيات هامشية) لم تؤد وظائف واضحة في أحداث الرواية بل أدت أدوارا جزئية فقط نحو: منصور زوج رحمة، عزام خال سيف، أرمين السيدة التي تبنت عمر شقيق سيف ، جاسم الفتى الذي أحبه ماجده ...

خاتمة.

³¹ زينب لوت: صخرة الرماد ، ص 97.

- أفضت دراسة موضوع محورية الشخصية الروائية ودلالاتها في الرواية الجزائرية المعاصرة - صخرة الرماد لزينب لوت انموذجا - إلى استخلاص عدة نتائج نذكر منها :
- 1- تعد الشخصية الركيزة الأساسية في الأعمال الروائية، وهذا ما جعل منها محورا هاما في الدراسات النقدية .
 - 2- توزعت شخصيات الرواية بين شخصيات رئيسة وثانوية حاولت من خلالها الكاتبة عن رؤيتها وموقفها تجاه الشعب الفلسطيني .
 - 3- استدعت زينب لوت في روايتها صخرة الرماد شخصية "سيزيف " وجسدتها من شخصية "سيف" الذي عانى منذ طفولته معاناة الفقد والفراق والغربة.
 - 4- الشخصيات الرئيسية لها القدرة على الادهاش والاقناع ، تقوم بأدوار حاسمة في مجرى الحكى يتوقف عليها فهم العمل الروائي ولا يمكن الاستغناء عنها، وهذا ما جسده شخصيتي "سيف" و"رشا في رواية صخرة الرماد .
 - 5- الشخصيات الثانوية مسطحة، أحادية ، ثابتة، تقوم بدور تابع لا يغير مجرى الحكى ولا يؤثر غيابها و فهم واستيعاب العمل الروائي ، وهذا ما ينطبق على عدة شخصيات في رواية صخرة الرماد مثل ،ماجدة ، رحمة، عمر، شامة وغيرها.
 - 6- بنيت الشخصية المحورية بتفصيل عميق من حيث الأبعاد النفسية والاجتماعية والجسدية.
 - 7- لم تقدم شخصيات الرواية بصورة نمطية بل ظهرت في حالات من القوة والضعف في آن واحد، و علاقتها بالمجتمع والتاريخ والذاكرة.
 - 8- صورت الروائية من خلال روايتها شخصية المرأة في صورتين ، المرأة الخاضعة للتقاليد والطابوهات والمرأة القوية ، الجريئة و المتحررة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1. زينب لوت: صخرة الرماد، دار غراب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2019م،

ثانياً: المراجع:

المعاجم والقواميس:

1. ابراهيم انيس ورفاقه، المعجم الوسيط، مطبعة مصر، لقاهرة، 1992

2. ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم: لسان العرب، مج1، تح: عبد الله على المجير، محمد احمد حسن الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج25، مادة (ش، خ، ص).

الكتب العربية:

1. الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، توس، 2000م.

2. جريدة حماس: بناء الشخصية في حكاية عبدوا الجماجم والجبل لمصطفى فاسي، مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، 2007.

3. حسن بحرواي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م.

4. حميد الحميداني: بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1991م.

5. سعيد بنكراد: سيميولوجيا الشخصية، رواية الشارع والعاطفة، ط1، عمان، الأردن، 2003م

6. عبد الله خمار: تقنيات الدراسة الروائية 1، الشخصية، الكتاب العربي، الجزائر، 1999م.

7. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998م.

8. محمد بوعزة: تحليل النص السردى وتقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.

الكتب المترجمة:

1. فلاديمير بروب: مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن وسمير بن حمو، دار الشرع، دمشق ، ط1، 1996م.
المجلات والدوريات:
2. عبد الله توام : سيميولوجيا الشخصيات في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج، مجلة التعليمية ، مج5، ع 13 مارس 2018 .
3. مديحة سابق: سيمياء الشخصية في روايات "غر الدين جلاوي" مج24، ع 51، 2020م.

محورية الشخصية الروائية ودلالاتها في بناء الرواية الجزائرية المعاصرة - صخرة الرماد لزينب لوت
انموذجا -
